صوت ينبعث من الأزهر

الأستاذ الأكبر يوجه حركة الإصلاح الديني في الشرق الإسلامي

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

كانت النهضة الكبرى التي أصابت العالم الإسلامي في القرون الوسطى ذات أثر بعيد في حياته السياسية والعقلية والاجتماعية في القرن التاسع عشر

لم يهتد المسلمون في هذه الحقبة الطويلة كثيرا من تقاليد الشرق، وإنما جاءوا روح الإسلام، وجهلوا مبادئه وأهدافه، ووقفوا أمام تيار النهضة الغربية جاهلين عاجزين أذلاء. وبادرهم المستعمرون بتحطيم ما بقي في أجسامهم من متعة، وفي قلوبهم من إيمان، وفي أرواحهم من عزة ومثل عليا

وكانت الأحداث الكبرى التي هزت العالم الإسلامي هزا عنيفا داعية للمفكرين والمصلحين أن يجاهدوا في سبيل البعث والإحياء وتجديد الحياة والأمل في نفوس المسلمين. واقترن ذلك بدعوات جريئة للإصلاح؛ انبعثت من رجال الدين حينا، ومن غيرهم حينا آخر؛ من أمثال محمد بن عبد الوهاب م ١٢٠٦ هـ، والسيد أحمد خان الهندي م ١٨٩٨، والسيد أمير علي، والكواكبي م ١٩٠٢، وجمال الدين الأفغاني ١٨٩٧ م، ومحمد عبده ١٩٠٥م

تراه إذا ادعى في الناس فخرا تقيم له مكارمه الشهودا

وهؤلاء الرعاديد الذين يتقاعسون عن ميادين الجهاد بحجة أنهم يرون للأمة أن تعنى بالعلم قبل الحرية وبالمال قبل الاستقلال، أليس من حق الرصافي أن يعلمهم الحكمة ويعطيهم فصل الخطاب

قد علمتني الليالي في تقلبها أن المواقف فيها السيف لا القلم
وأن أصدق برق أنت شائمه برق تبسم عنه الصارم الخذم.
وأخصب الأرض أرض لا تنسح بها إلا من النقع في يوم الوغى ديم
إني أرى المجد في الأيام قاطبة إلى عبيط دم المحيا به قرم
والمجد أعطى الظبا ميثاق معترف أن ليس يضحك إلا حين تبتسم

وأما مكانة الرصافي في الأدب العربي ففي الذروة العليا والمقام الأسمى؛ فهو من ألمع الجواهر في تاج أدب العصر، ومن أثمن الدرر التي تزين جبين الشعر، وهو فوق هذا من أقوى شعراء القومية العربية. ومن أسبق شعراء العرب في الدعوة إلى الثورة على الحكم العثماني كوسيلة للحرية والاستقلال. وأما آثاره في الشعر فديوانان طبع الأول في بيروت مصدراً بمقدمة طيبة للمرحوم الشيخ محي الدين الخياط. ثم صدر الديوان الثاني وفيه كل ما نظمه الرصافي بعد صدور الديوان الأول، ثم صدره الأستاذ العلامة الشيخ عبد القادر المغربي بمقدمة تحليلية نفسية. وله في الكتب

(١) رواية الرؤيا وهي مترجمة عن التركية لنامق كمال الشاعر التركي الشهير

(٢) نفح الطيب في الخطابة والخطيب. وهو مجموعة محاضراته التي ألقاها على طلبة مدرسة الواعظين في الآستانة

(٣) الأناشيد المدرسية، وهي طائفة من الأناشيد الوطنية والأدبية يتغنى بها تلاميذ المدارس

(٤) محاضرات الأدب العربي وهي مجموعة المحاضرات التي ألقاها في الأدب العربي على معلمي المدارس في بغداد

(٥) كتاب الآلة والأداة. وقد ذكر فيها أسماء الآلات والأدوات التي يستعملها الإنسان

(٦) دفع المراق في لغة العامة من أهل العراق. ضمنه بحثاً مستفيضاً عن اللغة العامية في العراق وقواعدها وآدابها وأمثالها

* * *

هذه خطوط سريعة رسمنا عليها هذه الصورة الرصافي. ونرى أن نقدم بجانبها الصورة الجميلة الأنيقة التي رسمها الرصافي لنفسه بقوله: —

وقلت لها إني امرؤ لي لبانة منوط مداها بالنجوم الزواهر
تعودت أن لا أستنيم إلى المنى وأن لا أرى إلا بهيئة ثائر
وأن أمضي لهمي الذي هو مرتقي بطي الفيافي أو بخوض الدياجر

محمد عبد المنعم الحسيني

وسواهم من دعاة الإصلاح ، وحملة رسالته

كان السيد جمال الدين الأفغانى يريد تحرير الشعوب الاسلامية من العبودية والاستعمار ، وتكوين حكومة إسلامية موحدة تهتدى بهدى الاسلام ، وبعث الروح القومى فى الشرق عن طريق الإصلاح الدينى العام

.. وكان محمد عبده يريد النهوض بالشرق الاسلامى سياسيا عن طريق النهضة الثقافية به ، ويرى أن الاسلام هو السبيل لتمهيد حركة الإصلاح وتقدمها ، وأنه هو والعقل والعلم إخوة ، ولذلك دأب على الدعوة إلى تصحيح العقيدة ، وإذاعة رسالة الاسلام ، وإيقاظ الشعور العام بإيقاظ الروح الدينى

— ٢ —

وخفتت بعد محمد عبده دعوة الإصلاح فى الشرق ؛ وإن لمت جذوتها حينا فى أفكار الشيخ مصطفى المراغى ، رحمه الله ، الذى كان يعمل للنهوض بالأزهر الحديث حتى يصل إلى مستوى الجامعات الكبرى فى الشرق والغرب

كما أضاءت الشعلة حينا آخر فى آراء الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان يحرص على إحياء التعارف والتعاون بين المسلمين عامة

ولكن هذه الآثار الضئيلة لم تكن على جانب كبير من الأهمية فى الإصلاح الدينى فى الشعوب الاسلامية فى القرن العشرين

— ٣ —

على أن أخطر دعوة للاصلاح الدينى فى العصر الحاضر إنما تظهر الآن على يدى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم الذى تولى منصب الإمامة الكبرى ، والمشيخة العظمى ، فى الأزهر الشريف ، منذ وقت قريب

فمنذ أكثر من عشرين عاما وفضيلة الأستاذ الأكبر يسهر على حماية التراث الاسلامى الخالد ؛ ويجهر بالدعوة إلى إصلاح الأزهر إصلاحا حقيقيا ، وتمكينه من أداء رسالته ؛ ويرى اقتران الإصلاح الدينى فى العالم الاسلامى بإصلاح الأزهر الشريف ومهمة الأزهر فى رأى الأستاذ الأكبر جد خطيرة ؛ فهى تشمل : « تعليم أبناء الأمة الاسلامية دينهم ولغة كتابهم ، تعليما قويا مثمرا ؛ يجعلهم حملة للشريعة ، أئمة فى الدين واللغة ، حفاظا حراسا لكتاب الله وسنة رسوله وتراث السلف الصالح والقيام بما أوجبه الله على الأمة من تبليغ دعوته ؛ وإقامة حجته ، ونشر دينه ... فعلى رعاية هذين الجانبين يجب أن تقوم خطة الإصلاح فى الأزهر ، وأن يعمل العاملون على تحقيق آمال الأمة فيه (١) »

ولذلك اتجه فضيلته بعزم قوى إلى إصلاح الأزهر إصلاحا عاما شاملا . ومن كلماته فى هذا الصدد (٢) : « وقد أخذت على عاتقى ، وشرعت — والله المستعان — فى توجيه هذه الجامعة الكبرى توجيها صالحا »

ووسائل إصلاح هذه الجامعة الاسلامية العتيدة تتلخص فى رأى الأستاذ الأكبر فيما يلى :

١ — مراجعة الكتب الدراسية ، وإبقاء الصالح منها ، واختيار لون جديد يوجه الطلاب توجيها حسنا إلى العلم النافع من أقرب طريق وأيسره

٢ — تشجيع حركة التأليف والتجديد عن طريق الجوائز العلمية وغيرها حتى يتصل حبل العلم ... وتوجيه العلماء إلى وضع بحوث فى الفقه والتشريع تساير الروح العلمى الحاضر

٣ — إعداد جيل قوى من أبناء الأزهر يستطيع أن يحمل الرسالة ؛ فإن الأمة تريد من الأزهر أن يخرج لها علماء فى الدين والشريعة واللغة وسائر العلوم العقلية والاجتماعية المتصلة بها ، على أن يكون هؤلاء العلماء مزودين مع هذا بقدر صالح من العلوم الأخرى التى تفيدهم فى مجتمعهم ثقافة عامة (٣) » . وفى هذا يقول الأستاذ الأكبر أيضا موجها كلمته إلى الأزهريين : نصيحتى إليكم أن تعلموا أنكم مجندون فى سبيل الله . فأقبلوا على دراستكم ، وتجملوا بالفضيلة بينكم وبين الناس ، لتحقيق آمال الأمة فيكم ، وإعلاء كلمة الدين والعلم بكم (٤)

(١) من حديث الأستاذ الأكبر فى المؤتمر الصحفى بادارة الأزهر فى أول نوفمبر عام ١٩٥٠

(٢) من رسالة الأستاذ الأكبر إلى شعوب العالم الاسلامى

(٣) من حديث الأستاذ الأكبر فى المؤتمر الصحفى

(٤) من كلمة الأستاذ الأكبر التى أذاعها فى أول العام الهجرى الجديد

٤ — تشجيع حركة البعوث العلمية التي يرسلها الأزهر إلى جامعات أوربا للتزود من شتى الثقافات .. ولا بدع فإن العلم رحم «بين الناس كافة» كما يقول الأستاذ الأكبر لعلماء جامعات أوربا الذين حجوا إلى مكتبه في زيارتهم للازهر الشريف

٥ — تنظيم هذه الجامعة الكبرى تنظيما يتفق مع خطر رسالتها ، ويساعدها على أداء هذه الرسالة ، بإنشاء مكتبة كبرى، ودار كبيرة للطباعة ، وإكمال مباني الأزهر الجامعي ، تمهيدا للاحتفال بعيده الألفي ؛ إلى غير ذلك من وسائل الإصلاح

أما مهمة الأزهر في سبيل الاصلاح الديني في مصر والشرق الاسلامي فتتخلص فيما يلي

١ — العناية بإصلاح حالة الأسرة بإصلاح شؤونها ، ودعم كيانها ، عن طريق بحث التشريعات اللازمة لها : في الزواج ، والطلاق ، والنفقة ، والحضانة ، والولاية ، وما إليها [١]

٢ — نشر الدين والثقافة في كل ناحية

٣ — إرسال البعوث الأزهرية إلى شتى أرجاء البلاد الاسلامية لدراسة أحوالها ، وتهذيب أبنائها

٤ — تشجيع البعوث الاسلامية الوافدة على الأزهر ، وبناء دار كبرى لإقامتهم ، ورعاية شؤونهم العلمية والخلقية والدينية

٥ — ربط الأزهر بشتى الجامعات الشرقية ، وإنشاء مراكز ثقافية له في عواصم البلاد الاسلامية

وأما مهمة الأزهر في الدعوة إلى الدين في العالم ، فهي كما يرى الأستاذ الأكبر تشمل ما يأتي :

١ — توجيه العلماء إلى وضع مؤلفات باللغات الأجنبية ، لبيان حقيقة الاسلام بمزاياه . وقد بدأ فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء بتأليف رسالة في شرح مبادئ الاسلام ، تترجم الآن إلى اللغات الحية ، لإذاعتها في العالم

٢ — إنشاء إدارة للدعاية الاسلامية تتولى توجيه الناس إلى الاسلام ومبادئه الخالدة

٣ — ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية

ويرسم الأستاذ الأكبر خطة للاصلاح في البلاد الاسلامية في كلمة جامعة وجهها إلى الشعوب الاسلامية منذ أيام وهذه الخطة هي :

أولا : أن يؤمنوا إيمانا عن بينة وبصيرة بأنه لا سلاح لهم إلا بالدين الذي صلح به أولهم

ثانيا : أن ينسوا أحقادهم وميراث عداوتهم ، فيعودوا كما تركهم رسول الله أمة واحدة عزيزة كريمة ؛ لا غرض لها إلا إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه ، والدفاع عن الحق حيثما وجدت لذلك سبيلا

هذه هي أخطر رسالة للاصلاح الديني في مصر والشرق الإسلامي في العصر الحديث .

وهي رسالة لا يستطيع النهوض بأعبائها إلا من كان مثل الأستاذ الأكبر في خلقه وعلمه ودينه ؛ وفي غيرته على العقيدة الاسلامية ، والشريعة المحمدية ، والتراث الاسلامي المجيد

محمد عبد المنعم خفاجي

مدرس بكلية اللغة العربية

(١) من حديث للاستاذ الأكبر نشر في الأهرام في ٢٨ — ١٠ — ١٩٥٠

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة

والاجتماع والقصص

للأستاذ احمد حسن الزيات

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد